للتكذيب والاستهزاء الاتيان حقيقة الوقت وان فسر الفتح بفتح مكة او بيوم بدر كان المراد
ان المقتولين لم ينفعهم ايمانهم حال القتل كايمان فرعون حال الغرق بخلاف الطلقاء الذين امنوا
بعد الاسر فالجواب لذلك مطابق السوال من غير تاويل سورة الاحزاب قوله
يا ايها النبي لم يقل في ندائه يا محمد كما قال في ندا غيره يا موسى يا عيسى يا داود بل
عدل الى يا ايها النبي اجلالا له وتعظيما كما قال يا ايها الرسول ولعل عدوله عن ذلك
الى اسمه في الاخبار عنه في قوله محمد رسول الله وقوله وما محمد الا رسول ليعلم الناس
انه رسول الله ليلقنوه بذلك ويدعوه به قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم اي في الحرمة والاحترام وانما جعلهن الله كالامهات ولم يجعل نبيه كالاب حتى
قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم لانه تعالى اراد عنه بدعوته ازواجه باشرف ما تنادي
به النساء وهو الام واشرف ما ينادي به النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الرسول لا
الاب ولانه تعالى جعلهن كالامهات اجلالا لنبيه لئلا يطمع احد في نكاحهن بعده ولو
جعله ابا للمؤمنين لكان ابا للمؤمنات ايضا فيحرم عليه وذلك ضد في اجلاله وتعظيمه
ونهيه تعالى خلقه اولى بنا من انفسنا وذلك اعظم من الاب في القرب والحرمة اذ لا
اقرب الى الانسان من نفسه ولان من الاباء من يتبرا من ابنه ولا يمكنه ان يتبرا من نفسه
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية فيها عطف الخاص على العام وقدم النبي
صلى الله عليه وسلم في الذكر على مشاهير الانبياء وفضله عليهم صلى الله عليه وسلم و
عليهم اجمعين وانما قدم نوحا عليه في اية شرع لكم من الدين لانه سيقت لوصف
ما بعث به نوح من العهد القديم وما بعث به نبينا من العهد الحديث وما بعث به من
توسطهما من الانبيا المشاهير فكان تقديم نوح فيها اشد مناسبة للمقصود
قوله واخذنا منهم ميثاقا غليظا فايدته اعادة التاكيد او المراد الميثاق
الغليظ هو اليمين بالله تعالى على الوفا بما حملوا وعليه فلا اعادة ولا تكرار
الميثاق قوله ويعذب المنافقين ان شاء ان قلت كيف علق عذابهم بمشيته
مع ان عذابهم متيقن النزول لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار قلت معناه ان شاء عذابهم وقد شاءه او ان شاء موتهم على النفاق قوله
يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة الاية المراد بالفاحشة النشوز
وسوء الخلق فان قلت لم خص الله تعالى نسا النبي صلى الله عليه وسلم بتضعيف
العقوبة على الذنب والمثوبة على الطاعة قلت اما الاول فلانهن يشاهدن من
الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهن ولان في معصيتهن اذى لرسول
صلى الله عليه وسلم وذنب من اذى رسول الله اعظم من ذنب غيره واما الثاني فلانهن اشرف من
سائر

سائر نساء العالمين لقربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الطاعة منهن اشرف كما ان المعصية
منهن اقبح قوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات قلت لم عطف احدهما على
الاخر مع انهما متحدان شرعا قلت ليسا متحدين مطلقا بل متحدان صدقا لا مفهوما اخذا
من الفرق بين الاسلام والايمان الشرعيين اذ الاسلام الشرعي هو التلفظ بالشهادتين
بشرطه والايمان تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والايمان الشرعي عكس ذلك
ويكفي في العطف المقتضي للاختلاف اختلافهما مفهوما وان اتحدا صدقا قوله ما كان
محمد ابا احد من رجالكم الاية هو جواب عن سوال مقدر تقديره اما محمد ابو زيد بن حارثة
فاجيب بنفي الاعم المستلزم لنفي الاخص اذ لو اقتصر على قوله ما كان محمد ابا زيد لقيل
وما ذا يلزم منه فقد كان للانبياء ابناء فجي بنفي الاعم تمهيدا للاستدراك بانه رسول الله
وخاتم النبيين فان قلت كيف صح نفي الابوة عنه وقد كان ابا للطيب والطاهر والقاسم وابراهيم
قلت قد قيل النفي يتوقف من رجالكم لان اضافة الرجال الى المخاطبين تخرج ابناه لانهم
رجاله ولان المنفي منه بقرينة المقام الرجال البالغون وابناوه لم يبلغوا كذلك اذ لو كان
له ابن بالغ وكان نبيا فلا يكون هو خاتم النبيين فان قلت كيف قال تعالى وخاتم النبيين
وعيسى عليه السلام ينزل بعده وهو نبي قلت معنى كونه خاتم النبيين انه لا يتنبى احد
بعده وعيسى نبي قبله وحين ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قوله وسراجا
منيرا ان قلت كيف شبه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالسراج دون الشمس مع انها اتم
قلت سراجا او شبهه بالسراج لان السراج لا يخفى بخلاف الشمس قوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات
ثم طلقتموهن الاية التقييد بالمومنات خرج مخرج الغالب والا فالكتابيات مثلهن
فيما ذكر في الاية قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك افرد
العم والخال وجمع العمات والخالات لان العم والخال بوزن مصدرين وهما الضم والمصدر
يستوي فيه المفرد والجمع بخلاف العمة والخالة لا يرد على ذلك جمع العم والخال في قوله
في النور او بيوت اعمامكم او بيوت اخوالكم لانهما ليسا مصدرين حقيقة فاعتبر هنا حقيقتهما
وثم شبههما قوله لا جناح عليهن في ابائهن الاية ان قلت كيف ذكر فيه الاقارب ولم يذكر العم
والخال مع انهما كهم في رفع الجناح قلت قد مر مثل هذا السوال وجوابه في قوله
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الاية فراجعه قوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا عطف الاول على
الثاني مع انهما بمعنى للتغاير بينهما لفظا كقولهم فلان عاقل لبيب وقول الشاعر معاذ الله
من كذب ومين قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ان قلت الانسان هنا ادم
عليه السلام فكيف وصفه بظلوم وجهول وهما صفتا مبالغة قلت لانه لجلالة قدره وقوة
محله كان ظلمه لتقصيره بما حمله وجهله به وان قل افحش من غيره او لتعديه منه الى جميع الناس

Copyright © King Saud University